وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد الأمين دباغين سطيف2
كلية العلوم الإنسانية جذع مشترك

محاضرات في تاريخ الحضارة الإسلامية

[مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الأولى ليسانس]

أساتذة المقياس:
-الصيد رانية
-بن حدحوم أحمد

المحاضرة 1: مدخل إلى تاريخ الحضارة الإسلامية

تمهيد:

تعتبر الحضارة الإسلامية واحدة من أبرز وأهم الحضارات البشرية على مرِّ التاريخ، كونها تجمع بين خصائص ومميزات جعلتها في مركز الفاعلية والتأثير، حيث تقوم على أساس تطوير العقل والأخلاق عن طريق ثلاث مبادئ جوهرية تتمثل في:

- ✓ **التوحيد:** تعد الحضارة الإسلامية الحضارة الوحيدة التي انطلقت من عقيدة التوحيد مباشرة، حيث ترتكز أساسا على مبدأ الإيمان بوحدانية الله عز وجل وعدم الإشراك به شيئا، جعل هذا المبدأ المسلمين متفقين على اتجاه واحد عكس بقية الحضارات التي اتسمت بتعدد المعبودات، أسفر هذا المبدأ عن قوانين فذَّة صالحة لكل مكان وزمان، إذ لم تتغير هذه القوانين منذ نشأة الحضارة الإسلامية كما أنها تمتاز بالسلاسة والمرونة مع تطور الأحداث عبر الزمن، كرست هذه الميزة إلى تحقيق العدل والمساواة بين الأجناس.
- ✓ **الانفتاح:** تعتبر الحضارة الإسلامية حضارة منفتحة على جميع الحضارات الأخرى، تستفيد من الإيجابيات وتنقلها بينما تتفادى السلبيات وكل ما من شأنه أن يتسبب بالأضرار والفساد على المستوى العام والخاص، تشجع على العلم والأخلاق الفاضلة.
- ✓ **الواقعية:** تتسم الحضارة الإسلامية بصفة عامة بالوسطية والاعتدال، حيث تبني مخططا لطموح الإنسان وفقًا لما يتناسب مع الواقع المعيش، فكل تعاليم الإسلام واضحة وبسيطة، متاحة للجميع بما يتناسب مع الظرف والبيئة والوقت.

جعلت كل هذه الصفات الحضارة الإسلامية تحتل صدارة الحضارات البشرية على مر الحقب البشرية إلى غاية اليوم.

1- مفهوم الحضارة الإسلامية:

يعد مصطلح الحضارة الإسلامية مصطلحا واسعا وشاملا، فالحضارة مشتقة من الفعل حَضَرَ حُضُورًا وحَضَارَةً، والحضور عكس المغيب، ويشار بالحضور إلى موارد المياه بفعل الاجتماع والحضور عليها، واقترن بذلك مصطلح الحضر بمواضع الاستقرار بالمدن والقرى والأرياف عكس البداوة والترحال، حيث يقول ابن خلدون في هذا الشأن: "...وإذا كانت الحاضرة ضد البادية كانت كلمة الحضارة خاصة بالمدن والقرى والريف وأهلها..."، ومن هنا أصبحت المدن تُشَبَّه بالنهضة، ويشار إلى الحضارة الإسلامية بالنهضة الإسلامية ذكرها آدم متز (Adam Metz) في كتابه بعنوان: النهضة الإسلامية (Die Renaissance Islam)، وبذلك أصبحت كلمة حضارة تعني طريقة الحياة في المجتمع التي تشمل كل أنواع النشاط الإنساني سواء كان ماديا أو روحيا أو عقلي، ويطلق مصطلح الحضارة الإسلامية على كل ما هو مصبوغ بصبغة إسلامية .

2- أحوال شبه الجزيرة العربية قبيل مجيء الإسلام:

سميت المنطقة بشبه الجزيرة لأنها محاطة بالبحر من ثلاث جهات: البحر الأحمر من الغرب والخليج من ناحية الشرق والبحر الهندي جنوبا، تقع في مجال يتوسط العالم وتحيط بها عدة ممالك نذكر من بينها: مملكة اليمن التي يحكمها الحَمْيَريين من التبابعة وغيرهم، مملكة حيرة شرقا نحو العراق التي يحكمها المناذرة، وفي الشمال مملكة الغساسنة وفي الوسط مملكة نَجْد والحجاز وتهامة، جعلتها هذه الممالك في معزل عن أطماع وأنظار القوى الكبرى من الأحباش، والفرس، وغيرهم، كما أن الله عز وجلَّ حباها بأنها موطن المصطفى صلى الله عليه وسلم، لم تعرف هذه المنطقة من الناحية السياسية نظام الملك الوراثي ولا العسكري كما كان سائدا في الدول المجاورة لها، فقد كان يسودها نظام قبلي تعود السيطرة فيه لشيخ القبيلة، ومن الناحية الاقتصادية كان يغلب

عليها طابع الرعي والتجارة وسكنى الخيام، أما من الناحية الدينية لم تعرف هذه المنطقة في بداية تعميرها عبادة الأوثان ولا المجوسية إلا لاحقا، ومن الناحية الثقافية كان أغلب أفرادها فصيحوا اللسان وشعراء وأفضل مثال على ذلك المعلقات السبع.

3- التعمير البشري بالجزيرة العربية:

تعد السيدة هاجر وابنها إسماعيل عليه السلام أول من عمر المنطقة في مكة المكرمة بالوادي الأمين بجبال **فاران** بالأرض الطيبة المباركة، بعدما أوحى الله عزر وجل إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام بذلك، وبعدما أكرم الله السيدة هاجر وابنها بماء زمزم مرت قبيلة يمنية تدعى **جُرْهُم** وهي قبيلة قحطانية من ذرية سام بن نوح عليه السلام، هاجرت بعدما انهار سد مأرب باليمن تبحث عن مكان جديد للاستقرار، فلما بلغوا مكة ووجدوا هاجر وابنها عند نبع زمزم استأذنوها بالنزول معهم فأذنت لهم وبدأ بذلك تعمير مكة.

4- الإطار الجغرافي للحضارة الإسلامية خلال الفترة الوسيطة:

قامت الحضارة الإسلامية مع قيام الإسلام وانتشرت على رقعة شاسعة من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب خلال زمن العصور الوسطى، حيث حلت محل الحضارات القديمة في الشام (عرفت بلاد الشام تنوعا حضاريا بين الفينيقية، الآرامية، الكنعانية، الرومانية، البيزنطية)، وفي بلاد الرافدين (حضارتي بابل وآشور، حضارة فارس)، وفي مصر (حيث قامت الحضارة الفرعونية ثم اليونانية ثم البطلمية ثم الرومانية)، إلى جانب حضارات بلاد المغرب التي مزجت بين الطابع المحلي والطابع الأجنبي للهيمنة الرومانية والبيزنطية، وحضارة القوط في الأندلس، وبذلك انتشر التعريب جنبا إلى جنب مع انتشار الإسلام، ولم يشمل التعريب اللغة فحسب بل شمل العادات والتقاليد العربية وكانت بذلك اللغة العربية عاملا من عوامل نشأة وتطور الحضارة الإسلامية.

5- نشأة وتطور الحضارة الإسلامية:

ولدت الحضارة الإسلامية يوم نزول الوحي على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، واستنادًا لقوله عز وجل: « **إِنَّا أَنْزَلْنَاه فِي لَيْلَةِ القَدْرِ**» (القدر: 1) وقعت هذه الحادثة في شهر رمضان، حيث يشير الشيخ **صفي الرحمن المباركفوري** في كتابه "الرحيق المختوم" حسب الأحاديث الصحيحة أن نزول الوحي لأول مرة كان في ليلة الإثنين 21 من شهر رمضان الموافق ل 10 أغسطس من عام 610م، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبلغ وقتها أربعون عاما، ثم انتشرت هذه الحضارة في مكة والمدينة المنورة ومنها إلى كامل الجزيرة العربية وما حولها، واستمرت في الازدهار بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام في عهد الخلفاء الراشدين حيث واصل الصحابة رضوان الله عليهم توسيع الحدود الجغرافية للدولة الإسلامية، كما شهدت ثورات كبيرة في عهد الدولة الأموية أفرزت عن فتوحات عظيمة في كل من شمال إفريقيا والأندلس حيث زحف جيش المسلمين إلى غاية باريس الفرنسية، تحولت خلال هذه الحقبة الحضارة الإسلامية إلى أكبر الحضارات البشرية وقتها، امتد نفوذها من جنوب فرنسا وإسبانيا إلى غاية الصين، تمكنت هذه الحضارة من المحافظة على تفوقها وازدهارها خلال العصر العباسي ثم عصر المماليك إلى غاية فتح القسطنطينية على يد العثمانيين التي تعتبر مرحلة فاصلة تحددت بها نهاية العصر الوسيط وبداية مرحلة العصر الحديث.

المحاضرة 2: مصادر دراسة تاريخ الحضارة الإسلامية

مدخل:

يتطلب البحث في أي موضوع سواء كان علميًّا أو أدبيّا التعرض إلى المادة العلمية المتاحة في شكل مصادر ومراجع تحمل كمًّا معرفيا هاما حول المواضيع المتخصصة فيها، وتعد مصادر دراسة الحضارة الإسلامية هي نفسها مصادر دراسة تاريخ الإسلام، كما أنها تحظى بأهمية بالغة كونها ساهمت في المحافظة على موروث الثقافة الإسلامية وترسيخها عبر الأجيال، فضلا عن إسهاماتها في نقل هذه الثقافة إلى بقاع واسعة الانتشار، ولا يمكن كتابة تاريخ الحضارة الإسلامية دون الرجوع إليها، وتصنف هذه المصادر بناءً على عدة أسس واعتبارات، فماهي مصادر دراسة الحضارة الإسلامية؟ وماهي أهم تصنيفاتها؟

1- ضبط المفاهيم

- **المصدر**: يعتبر المصدر بمثابة المنبع الأول الذي نستقي منه المعلومة، وينقسم إلى نوعين: مادي وأدبي، يشمل المصدر المادي كل ما من شأنه أن يؤرخ لحضارة بشرية معينة من لقى أثرية مثل: العمران، النقود، المسكوكات، الأختام، النقوش، وغيرها، في حين تتركز المصادر الأدبية في المؤلفات القديمة الأولى من: كتب، مخطوطات، أساطير وملاحم ودواوين شعرية وغيرها، وبالنسبة للحضارة الإسلامية فقد شهدت حركة فكرية واسعة خلال العصور الإسلامية الوسطى اهتم المسلمون خلالها أكثر من غيرهم بالتدوين لشتى العلوم والأخبار، كما تزخر الحضارة الإسلامية بكم هائل من المصادر المادية التي لا تزال تشهد على تاريخها العريق الى غاية اليوم، وعلى العموم يمكن اعتبار تسمية "مصدر" مصطلحا عاما يمكن أن يطلق على المصدر والمرجع معا.

- **المرجع:** تتمثل المراجع في المؤلفات التي تعتمد في الكتابة على المعلومات المأخوذة من المصادر، وتنقسم بدورها إلى عدة أنواع: كتب، مقالات، موسوعات، رسائل جامعية وغيرها، ويعتبر مصطلح مرجع تسمية محددة لا يمكن إطلاقها على المصدر.

2- أنواع مصادر دراسة الحضارة الإسلامية:

1.2 القرآن الكريم:

كلام الله المنزه عن الخطأ لقوله تعالى: «**كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**» (هود: 1)، حيث شمل القرآن القصص والعبر والأحكام والمعاملات وكل ما يتعلق بحياة الإنسان من الأمم السابقة واللاحقة.

2.2 السنة النبوية:

تتمثل في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة المسندة، التي تعد المصدر الثاني بعد القرآن الكريم لقوله تعالى عن نبيه الكريم: «**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى**» (النجم: 1، 2).

3.2 المصادر الأدبية:

تزخر المكاتب الإسلامية اليوم بكم هائل من التراث المدون سواء كان مطبوعا أو محققا، بالرغم من غياب عدد كبير من المخطوطات التي تعد مفقودة أو ناقصة، ويشترط في المصادر ما يلي:

- المواكبة للحدث: بمعنى أن يُعايش صاحبها الأحداث التي يكتب عنها أو يكون قريبا منها، مثل مؤلف بن تومرت: أخبار دولة الموحدين، يعتبر مصدرا عن الدولة الموحدية لأن مؤلفه شارك في صنع الوقائع التي تحدث عنها.

- القِدم: يشترط في المصدر أن يكون أقدم من كَتب عن الحدث الذي يتناوله بالدراسة، مثل كتاب: الواقدي: الفتح الإسلامي لإفريقية يعتبر هذا الكتاب مصدرا كونه أقدم من تحدث عن هذه الفترة.

يمكن كتابة تاريخ الحضارة الإسلامية من المصادر التالية:

- **كتب التاريخ بصنفيها العامة والمتخصصة:** تتمثل كتب التاريخ العامة في الكتب التي تتناول الأحداث لمختلف العصور التاريخية، كما أنها تحتوي على عدد كبير من العهود والرسائل وتشمل جوانب متعددة سياسية، اجتماعية، ثقافية، عسكرية، اقتصادية، مثل: كتاب **ابن الأثير**: الكامل في التاريخ، **الطبري**: تاريخ الأمم/ الرسل والملوك، **اليعقوبي**: كتاب التاريخ، **ابن قتيبة**: عيون الأخبار، أما عن الكتب المتخصصة فهي الكتب التي تتناول مسألة واحدة من المسائل التاريخية مثل: كتاب **ابن عساكر**: تاريخ دمشق، **عبد الواحد المراكشي**: المعجب في تلخيص أخبار المغرب.

- **كتب التراجم والسير:** عبارة عن سير لأشخاص معينين تتميز بالدقة والثقة وغزارة المعلومات، ظهر هذا النوع أساسا عندما كثر التلاعب بنقل الأحاديث النبوية لمآرب سياسية ودينية، وتقسم كتب التراجم حسب الوفيات إذا كان

الشخص المترجم له معلوم تاريخ الوفاة، وحسب الأقطار، وحسب التخصصات مثل تراجم المفسرين، تراجم الأطباء، تراجم الأدباء وغيرهم.

- **كتب الرحلات:** تعتبر من أشهر مصادر تاريخ الحضارة الإسلامية، تعتمد على الأخبار المتاحة من خلال المشاهدة عن طريق الترحال بين البلدان المختلفة، على غرار: نزهة المشتاق لاختراق الآفاق **للإدريسي**، المسالك والممالك **للبكري**، تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار **لابن بطوطة**.
- **كتب العلوم والمعارف:** مثل كتاب: علم الأصول **لأبا حامد الغزالي**، الحاوي في الطب **لأبي بكر الرازي**.
- **القواميس والمعاجم:** مثل: معجم لسان العرب **لابن المنظور**، الصحاح **للجوهري**، معجم مقاييس اللغة **لابن فارس**.

2.4 المراجع:

تتمثل في المؤلفات الحديثة التي تعتمد على المصادر القديمة في كتابة الأحداث التاريخية، تمتاز بالكثرة والتنوع ما يدل على اهتمام المسلمين بالتأريخ لتراثهم الثقافي، تنقسم إلى مراجع أولية تتمثل في المؤلفات التي تنقل معلوماتها عن المصادر مباشرة، ومراجع ثانوية هي المؤلفات التي تأخذ مادتها من المراجع الأخرى، تصنف المراجع عموما في المرتبة الثانية بعد المصادر، غير أنها ذات أهمية كبيرة كونها تقدم النقد والتحليل لمختلف الأحداث ونتائج كثيرا ما تكون عميقة وجسورة، تتنوع هي الأخرى بين المراجع العامة والمتخصصة على غرار المؤلفات التالية:

- **علي الخربوطي:** الحضارة العربية الإسلامية.

- **أحمد عبد الباقي:** معالم الحضارة العربية.
- **أحمد شلبي:** موسوعة الحضارة الإسلامية.

5.2 المصادر الروائية:

تعرف بالمصادر الروائية أو المروية، وذلك إلى جانب كل الأنواع الأدبية المختلفة، ومن المصادر المروية أو المنقولة شفويًا بالحفظ كالأشعار، وما كان يتبعها أو يسبقها من مقدماتٍ أو شروحاتٍ نثريةٍ تبين أسباب كتابتها، إضافةً إلى القصص التي كانت تنتقل من جيلٍ إلى جيل، إن كانت عن التفاخر بالنسب أو بالقوة والانتصارات وخلافه، وتستمر المصادر الروائية أمدًا طويلًا كمصادرٍ للتاريخ الإسلامي، حتى إنها كانت تخضع لضوابطٍ مشابهةٍ لتلك المشروطة في رواية الحديث، مثل الجرح والتعديل، ولعل هذه المصادر الروائية كانت قد لعبت دورا جذريا بالنسبة لمصادر التاريخ الإسلامي خاصةً في الفترة ما بين سيرة النبي –صلّى الله عليه وسلم– والصحابة حتى بداية التدوين.

6.2 المصادر المادية:

تتمثل في الطابع الإسلامي الذي يظهر على مستوى العمران والعملات والأختام والنقائش والمسكوكات وغيرها من الشواهد التي تنسب إلى الحضارة الإسلامية، والتي يمكن من خلالها التأريخ لهذه الحضارة ومدى انتشارها وتأثيرها على الحضارات المجاورة خلال العصور التي أنجزت فيها.

المحاضرة 3: الحواضر الإسلامية الكبرى في المشرق

مدخل:

ولدت الحضارة الإسلامية يوم نزول الوحي على النبي محمد صلى الله عليه وسلم أول مرة في غار حراء، ولعل أهم ما ساعد في ترسيخها وانتشارها هو نزول الرسالة باللغة العربية وفي أرض العرب، استمرت هذه الحضارة في التوسع بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في عهد الخلفاء الراشدين إلى غاية قيام الدولة الإسلامية في كل من المشرق والمغرب والأندلس خلال العصور الوسطى، وفيما يلي عرض لأهم مراحل انتشار وتطور الحضارة الإسلامية خلال الفترة المشار إليها.

1- الحضارة الإسلامية في زمن النبي صلى الله عليه وسلم:

اعتاد العرب قبل نزول الرسالة على عبادة الأوثان والأصنام، فتعددت أربابهم وكانت مكة معقل الوثنية فقد وُجد عند الكعبة يوم فتحها المسلمون 360 صنما، وكانت طائفة من المجوس تعبد النار حيث انتقل إليهم هذا المعتقد من الفرس الذين يجاورونهم، كما كانت طائفة في اليمن تعبد الشمس والكواكب وهم الصابئة، وإلى جانبها نذكر الطائفة اليهودية التي كانت مستقرة في يثرب (المدينة) وما حولها، إضافة إلى الطائفة النصرانية في الحيرة ونجران وغسان وغيرها، وبذلك كانت شبه الجزيرة العربية تتنازعها معتقدات وأديان مختلفة.

كان النبي محمد صلى الله عليه وسلم معروفا في مكة بأنه الصادق الأمين فكان الجميع يثق به ويقدره، وعندما نزل الوحي على الرسول عليه الصلاة والسلام في غار حراء أول مرة بادئ ما دُعي به النبي أنِ **اقرأ** دلالة على مكانة العلم من الرسالة الربانية، فبدأ الرسول يدعو سِرًّا إلى الإسلام لمدة ثلاث سنين، اتخذ خلالها بيت الأرقم بن أبي الأرقم بيتًا للعبادة والتحق به عدد كبير من المؤمنين أغلبهم من العبيد والموالي، ثم أصبحت الدعوة جهرية بعد نزول قوله تعالى: « **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ**» (الشعراء: 214) فبدأ الرسول يدعو أهله وعشيرته فقُوبل بالنكران والمجابهة من سادة مكة، ثم نزل قوله تعالى: « **فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرْ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينْ**» (الحجر: 94) قام حينها النبي صلى الله عليه وسلم بالجهر بالدعوة في كل مكان بمكة، واجه حينها غضب قريش الذين ناصبوه بأسوأ أنواع العذاب، تحمل صلى الله عليه وسلم المتاعب لمدة ثلاثة عشر عاما كاملة دون انقطاع، إلى أن أتاه الأمر بالهجرة إلى المدينة التي مكث فيها ثماني سنوات يدعو إلى الإسلام ولم يتراجع عن موقفه أبدا بالرغم من الإغراءات التي تعرض إليها من قومه بالملك والجاه، وبالرغم من العذاب والترصد الذي لحقه منهم، ثبت المصطفى على نشر الرسالة حتى عمت كامل الجزيرة العربية.

ومنذ أن تم للنبي عليه الصلاة والسلام تأسيس الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، استطاعت تلك الدولة أن تحمل للإنسانية مشاعل الحضارة، ورفعت لواء الزعامة العالمية عبر عصورها التاريخية، ولها في ذلك أثر بعيد وتاريخ حافل بالعطاء والإبداع والتميز والوسطية والاعتدال، واستطاعت هذه الحضارة أن ترتقي بالبشرية في التفكير والسمو، حيث تميز الإسلام بكونه رباني المصدر والغاية، عالمي الوجهة وايجابي البناء، فالحضارة الإسلامية انسانية المنطلق ووسطية المنهج، أخلاقية المحتوى واقعية الأفكار.

خاض النبي عدة غزوات في سبيل نشر الدعوة من بينها: **غزوة الأبواء** سنة 2هـ، **غزوة بدر الكبرى:** تعود أحداثها إلى حدود 17 رمضان 2هـ ضد قريش كان سببها سلب أملاك المسلمين بمكة بعد هجرتهم إلى المدينة، انتهت بنصر ساحق للمسلمين، **غزوة بني قينقاع:** وقعت يوم 15 شوال سنة 2هـ ضد اليهود بعد كثرة اعتداءاتهم على المسلمين، انتهت لصالح النبي محمد صلى الله عليه وسلم، **غزوة أحد** دارت أحداثها في شوال سنة 3هـ كان سببها إصرار المشركين من قريش للثأر لقتلاهم في بدر، انتهت بخسارة المسلمين، **غزوة حمراء الأسد** سنة 3هـ، **غزوة بني النضير** سنة 4هـ، وغيرها من الغزوات.

تمكن النبي صلى الله عليه وسلم من إرساء قواعد الحضارة الإسلامية ووضع منهاجا واضحا لتعاليمها، كما تمكن من إطلاق العنان لانتشار هذه الحضارة في بقاع الأرض من بعده وعلى هذا النهج سار أصحابه في نشر الإسلام.

2- الحضارة الإسلامية في زمن الخلفاء الراشدين:

في عهد الخلفاء الراشدين، ازدهرت الحضارة الإسلامية بشكل لافت حيث تأسست دولة الخلفاء الراشدين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وكان أول من تولاها أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم)، سار أصحاب النبي على النهج الذي رسمه لهم في سبيل نشر الدعوة الإسلامية وإرساء تعاليمها وترسيخها، فشهدت الدولة الإسلامية خلال هذه المرحلة تطورات كبيرة وتميزت بعدة جوانب:

- ✓ **الناحية الإدارية والتنظيمية:**

  بدأت مرحلة تنظيم الدولة الإسلامية إداريًا منذ عهد الفاروق عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، أنشئت الدواوين المختلفة لتنظيم شؤون الدولة، مثل ديوان الجند وديوان الخراج، كما تم تطوير مفهوم بيت المال لتنظيم الإنفاق وجمع الأموال وتوزيعها.

- ✓ **الناحية العسكرية:**

أولى الخلفاء الراشدين اهتمامًا كبيرًا بتجهيز الجيوش وتنظيمها، حيث قام المسلمون بالفتوحات الإسلامية لنشر الإسلام خارج البلاد، مثل فتح الشام والعراق وبيت المقدس وبلاد فارس ومصر.

- ✓ **السلم والتعايش المجتمعي:**

كانت الدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين مثالًا للتعايش السلمي بين المسلمين والأقليات الأخرى من يهود ونصارى، رغم الصعوبات والنزاعات، فقد كانت الدولة عادلة وملتزمة بشرع الله والقيم الإسلامية، شهدت هذه الفترة تطورًا حضاريًا كبيرًا وأثرت بشكل كبير على تاريخ الإسلام.

3- المرحلة الأموية:

سميت هذه المرحلة بهذه التسمية نسبة لبني أُمية، وهي أول دولة إسلامية بعد الخلافة الراشدة أول من حكمها هو معاوية بن أبي سفيان بعدما تنازل له الحسن بن علي عن الولاية بتاريخ 25 ربيع الأول 41هـ، وهو أطول الخلفاء حكما في تاريخ هذه المرحلة حيث حكم لمدة 20 سنة، وفي عهده انتقلت الخلافة من الشورى إلى الوراثة حيث أوصى بالحكم من بعده لابنه يزيد الذي حكم ابتداء من 61هـ، وهو ما أصبح معمولا به في تعيين بقية الخلفاء واتخذت دمشق عاصمة الخلافة خلال هذه المرحلة، عمَّرت الدولة الأموية لمدة هامة دامت إلى غاية سقوطها على يد العباسيين سنة 132هـ.

يعد العصر الأموي من بين أهم عصور الدولة الإسلامية، وضعت فيه جميع النظم الإسلامية، وتنوعت خلاله الاتجاهات الفكرية فأخذت الأفكار تتجاوز حدودها الإقليمية إلى آفاق أوسع وسط ثراء مادي غزير، وتعتبر هذه المرحلة ممهدة لتنوع المعارف العقلية التي اشتهرت بها الدولة العباسية لاحقا.

شهدت الحضارة الإسلامية خلال العصر الأموي نقلة نوعية على مُختلف الأصعدة الدينية والعلمية والعمرانية، فبالإضافة للفتوحات العظيمة التي شهدتها الديانة الإسلامية في هذا العهد تغيّرت عادات كثيرة في طريقة الأكل وتعدد أصناف الطعام، وحتى الألبسة فقد انتشر لباس الحرير والملابس المُطرّزة من الذهب والفضة، كما بدأت حركة تعريب العلوم في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان وبُنيت المدارس ومراكز العلم والمعرفة، وظهر التدوين النبوي لأول مرّة في عهد الإمام عمر بن عبد العزيز، كما اشتهرت بالفن العُمراني الذي كان له طابعًا إسلاميًا مميزًا، مثل قبة الصخرة، وبذلك سجلت الحضارة الإسلامية خلال هذه المرحلة نهضةً ثقافية وعلمية وتاريخية مميزة، بينما كانت حضارة الغرب غارقة في الظلام والجهل.

4- المرحلة العباسية:

ظهرت بوادر هذه المرحلة خلال أواخر عمر الدولة الأموية، حيث بدأت الدعوة لتأسيس الدولة العباسية سرا مع محمد بن عبد الله بن العباس ومن بعده ابنه إبراهيم اللذان اتخذا ثلاث مراكز لنشر دعوتهم: خراسان، الحميمة، الكوفة متنكرين على هيئة تجار، وانتشرت حركتهم سِرًّا دون علم الأمويين وعندما تسنى لهم السيطرة على خراسان جهروا بالدعوة، وزحفوا بجيشهم نحو العراق والشام وكان الخليفة وقتها مروان بن محمد الأموي الذي لجأ إلى مصر ولكنه قتل بها وبذلك أُعلن عن قيام الدولة العباسية ابتداءً من سنة 132هـ، واتخذت بغداد عاصمة للخلافة بدلا من دمشق، ومع قدوم العباسيين استطاع المسلمون الجدد وخاصة الفرس الوصول إلى السلطة، وصبغت الحضارة الإسلامية بطابع متنوع على مختلف الجوانب الاجتماعية والفكرية.

اشتهرت الحضارة الإسلامية خلال العصر العباسي بالتميز المعرفي فكانت ميدانًا حافلًا للمؤرخين والكتّاب والعلماء، بالإضافة للنهضة العمرانية التي شهدتها البلاد الإسلامية في تلك

الحقبة الزمنية، فكان العُمران هو أهم ما يُميّز هذه الحضارة، أمّا بالنسبة للعلم فقد كان عصرُ التميّز بالعلماء تنوعّت فيها المدارس الإسلامية، وظهرت مدرستي الكوفة والبصرة في علوم اللغة العربية، كما نشطت فيه حركة الترجمة، بالإضافة للعديد من علماء الجغرافية والتاريخ والفلك والعلوم على غرار: ابن سينا والخوارزمي وغيرهم ممن أضافت أبحاثهم ودراساتهم تاريخًا يُدّرس لأجيال متعاقبة عديدة.

بدأ التفكك ينخر جسد الخلافة العباسية ابتداءً من **القرن الرابع الهجري**، حيث بدأت تظهر الحركات الانفصالية فقد انفصلت الأقاليم الفارسية، وسيطر البويهيين الشيعة على مقاليد الحكم في بغداد والفاطميين في مصر، ومع حلول **القرن الخامس للهجرة** سيطر السلاجقة الأتراك على حكم العراق والجزيرة وجزء من بلاد الشام وقسموا البلاد إلى دويلات صغيرة متنافسة، أدت هذه الانقسامات إلى ضعف الدولة الإسلامية وتزايد الاعتداءات الصليبية، وفي **حدود القرن السابع الهجري** سقطت الخلافة العباسية على يد المغول وعم البلاد الاضطراب والفوضى وركود الحياة الفكرية.

المحاضرة 4: الحواضر الإسلامية الكبرى في المغرب والأندلس

أولا. بلاد المغرب:

1- أحوال بلاد المغرب قبيل الفتح الإسلامي:

تقلص النفوذ البيزنطي خلال الفترة التي تسبق دخول المسلمين إلى مصر على مناطق محصورة في السواحل الشمالية لبلاد المغرب، ولم يتمكن البيزنطيون من التوغل إلى المناطق الداخلية، فأصدر الإمبراطور البيزنطي **موريق** مرسوما يقضي بتحويل كل من برقة وطرابلس إلى مقاطعتين تابعتين إلى ولاية مصر، فانقطعت بذلك الصلة السياسية بين هاتين المقاطعتين وبقية بلاد المغرب، غير أن الثورات لم تهدأ في كافة شمال إفريقيا فسرعان ما أعلن الحاكم جرجير بولاية إفريقية سنة 646م استقلاله عن الإمبراطورية البيزنطية، كما نصب نفسه إمبراطورا على الممتلكات البيزنطية في كافة شمال إفريقيا.

بعدما تمكن المسلمون من فتح مصر بقيادة عمرو بن العاص في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، استطاعوا ضمَّ كل من برقة وطرابلس اللتان كانتا تابعتين لولاية مصر قبلاً، خصوصا بعدما أعلنت كل من قبيلة **لواتة، نفوسة** و**هوراة** رغبتها في الانضمام إلى المسلمين، لعل هذا ما شجع بن العاص لتأمين حدود مصر الغربية بعدما أقام بها قاعدة في

الفسطاط، فبدأ يطمح للتوسع نحو الغرب فأرسل طلائع لاستكشاف المنطقة التي كانت مجهولة بالنسبة للمسلمين.

2- أسباب تأخر الفتح الإسلامي لبلاد المغرب:

- جغرافية بلاد المغرب لم تكن معروفة بالنسبة للمسلمين بخلاف بلاد المشرق.
- رفض الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه التوسع نحو بلاد المغرب خوفًا على الفاتحين من البلاد المجهولة.
- الأزمات التي عرفتها الخلافة الإسلامية منذ مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه.
- بُعد المسافة بين بلاد المغرب ومركز الخلافة في المشرق تسبب في صعوبة توصيل الإمدادات.
- عدم تبني سياسة واضحة في تعيين الولاة وقادة الفتح في مصر وبلاد المغرب.
- تشعب جغرافية بلاد المغرب ووُعُورَة تضاريسها.
- قوة الحاميات البيزنطية وشراسة القبائل البربرية.
- كثرة العصبيات في بلاد المغرب، حيث لم يكن سكان هذه البلاد يدينون لزعامة واحدة وبالتالي كان على الفاتحين أن يقاتلوا كل تلك العصائب المتفرقة.

3- مراحل فتح بلاد المغرب:

يعد فتح بلاد المغرب صعبًا مقارنة مع بقية البلدان التي فتحها المسلمون قبلا، حيث مرَّ بعدة مراحل نقسمها على النحو التالي:

1-مرحلة الطلعات الاستكشافية (21-26هـ):

تسمى كذلك باسم مرحلة السرايا، تبدأ منذ زمن ولاية عمرو بن العاص على مصر، الذي أرسل عددا من الطلائع الاستكشافية نحو البلاد الواقعة غرب مصر، لجمع المعلومات عن جغرافية المنطقة وأحوال سكانها والقوى المتحكمة فيها، وكان على رأس إحدى الطلائع القائد **عقبة بن نافع**، وبعدما تمكن عمرو من ضم برقة سنة 21هـ وطرابلس سنة 22هـ، تحمس أكثر للتوسع نحو الغرب، وفي زمن خلافة عثمان بن عفان أرسل عمرو بن العاص طليعة بقيادة **عبد الله بن أبي السرح** على رأس سرية نحو إفريقية (تونس)، كانت آخر الخرجات الاستكشافية لتبدأ بعدها مرحلة الفتح المنظم.

2- مرحلة الفتح المنظم:

تنقسم هذه المرحلة بدورها إلى مرحلتين: مرحلة الصراع مع الحاميات البيزنطية، مرحلة الصراع مع ملوك البربر.

ب-1 الصراع مع الحاميات البيزنطية:

تبدأ هذه المرحلة منذ تولي عبد الله بن أبي السّرح (26-35هـ) على جيش المسلمين المتوجه لفتح بلاد المغرب إلى غاية ولاية عقبة بن نافع الأولى على إفريقية، شهدت صدامًا بين جيش الفاتحين والحاميات البيزنطية المتحالفة مع عدد من القبائل البربرية ممن تجمعهم مصالح مشتركة، حيث تمَّ للمسلمين فتح إفريقية بعد القضاء على جرجير وجيشه في زمن الخليفة عثمان بن عفان، وبعد مقتل الخليفة عثمان توقف التوسع في

بلاد المغرب إلى غاية وصول معاوية بن أبي سفيان إلى الخلافة، الذي عين **معاوية بن خديج** لمواصلة الغزو على إفريقية ما بين (45-50هـ).

ب-2 المواجهة مع ملوك البربر:

ضعفت خلال هذه المرحلة قوة البيزنطيين الذين انحصر تواجدهم في القلاع والحصون، بينما سيطر البربر على الضواحي ما جعلهم في مواجهة مباشرة مع الفاتحين، تميزت هذه المرحلة بتغير قيادات المسلمين:

- ولاية عقبة بن نافع الأولى (50-55هـ)
- ولاية أبو المهاجر دينار (55-62هـ)
- ولاية عقبة بن نافع الثانية (62-64هـ)
- ولاية زهير بن قيس البلوي (67-69هـ)
- ولاية حسان بن النعمان (74-89هـ)

4- الحواضر الإسلامية في بلاد المغرب:

تعاقبت على بلاد المغرب جملة من الحواضر سميت بالدّول الإسلاميّة، ظهرت ملامحها في مناطق متفرقة، يمكن ترتيبها زمنيا عبر مرحلتين:

1-1 عصر الولاة:

تبدأ هذه المرحلة قبيل فتح الأندلس، تحولت خلالها القيروان بإفريقية (تونس) وطنجة (بالمغرب الأقصى) إلى قواعد إسلامية انتظم فيها الولاة، حيث عيّن بني أمية على بلاد المغرب بعد مقتل موسى بن نصير ثمانية ولاة، انتشرت تعاليم الإسلام خلالها وانتظمت

المدن والقرى، غير أن نهاية هذه المرحلة شهدت توترًا تزامن مع أواخر عمر الدولة الأموية بسبب السياسة التي انتهجها الولاة ضد البربر وسوء معاملتهم للسكان، حيث فُرض على السكان التخميس رغم إسلامهم ما جعلهم يثورون على والي طنجة **المرادي** ويقتلونه، وعمت بعدها الفوضى كافة بلاد المغرب التي لم تهدأ إلا مع قيام الدولة الرستمية بالجزائر، ودولة الأغالبة بتونس، سنة 184هـ وبذلك استقل المغرب الأوسط (الجزائر)، والمغرب الأدنى (تونس) عن المغرب الأقصى.

2-1 ما بعد عصر الولاة:

تميزت هذه المرحلة بظهور عدد من الدول الإسلامية المستقلة عن بعضها نذكر من بينها:

- **الدولة الرستمية بالجزائر (160-296هـ/ 776-909م):** تأسست بالمغرب الأوسط (الجزائر) على يد عبد الرحمان بن رستم بمساندة التجمعات الإباضية واتخذت من مدينة تيهيرت (تيارت) عاصمة لها، ولم تكن كامل البلاد (الجزائر) تحت حكم بني رستم وإنما عرفت عدة أقاليم مستقلة، حيث استقلت القبائل الصنهاجية في شمال شرق الجزائر (جنوب البويرة والمدية)، في حين كانت قبائل كتامة وكل المناطق الممتدة ما بين المسيلة إلى غاية الحدود التونسية تابعة للأغالبة، أما وسط الجزائر وبعض المدن الساحلية فكانت تحت حكم الدولة العلوية؛ شهدت الدولة الرستمية نهايتها على يد داعية الفاطميين أبي عبد الله الشيعي سنة 296هـ.

- **الدولة الفاطمية (296-361هـ/909-972م):** شهدت الأقاليم الشرقية بالجزائر توترا سياسيا أفرز عن ظهور عدد من الثورات فاستغل أبا عبد الله الشيعي الفرصة

وبدأ يؤسس للدعوة الفاطمية، انظمت إليه قبائل كتامة كما استطاع القضاء على دولة الأغالبة ثم توجه نحو الغرب الجزائري وأطاح بدولة الرستميين وأعلن عن قيام الدولة الفاطمية سنة 296هـ/910م، بعدها توجهت أنظار الفاطميين نحو مناطق تجمعات القبائل الكبرى مثل: زناتة وهوارة، لكنهم اصطدموا بمقاومة شرسة زناتية وهوارية في كل من الأوراس والزيبان وتيهرت، غير أن اختلاف الفاطميين حول تولي الزعامة جعل عددا من الكتاميين ينفصلون عنهم، كما أن القيروان كانت توجد بها الأغلبية الرافضة للمذهب الإسماعيلي (مذهب الفاطميين)، الأمر الذي اضطر الفاطميين إلى التوجه نحو الشرق حيث استطاعوا فرض سيطرتهم على مصر سنة 359هـ، ثم انتقل المعز لدين الله الفاطمي إلى القاهرة سنة 361هـ تاركا أمور المغرب إلى أوليائه في صنهاجة.

- **الدولة الصنهاجية:** تعتبر صنهاجة إحدى القبائل البربرية المتحالفة مع الفاطميين بالجزائر، وهم أبناء عمومة مع قبائل صنهاجة الذين أقاموا دولة المرابطين بجنوب موريتانيا، بعدما آلت إليهم أمور الحكم بعد الفاطميين تمكنوا من تأسيس دولتين حكمتا الجزائر هما:

  - **الدولة الزيرية:** ترك المعز لدين الله الفاطمي شؤون الحكم في إفريقية والمغرب الأوسط لخليفته بلكين بن زيري الصنهاجي، الذي استطاع تأسيس الدولة الزيرية على الأرض الممتدة على كل من مدينة المدية، مليانة الجزائر العاصمة، سنة361هـ/972م.

➢ **الدولة الحمادية:** بعد نشوب صراع داخل الأسرة الزيرية الحاكمة حول شؤون الحكم، انتهى الأمر بإبرام معاهدة صلح استقلَّ بموجبها حماد بن بلكين رسميا بالمغرب الأوسط سنة 408هـ/ 1017م، معلنا عن قيام الدولة الحمادية، استمرت هذه الدولة إلى غاية سنة 447هـ/1161م، حيث سقطت على يد الموحدين وأصبحت بعدها الجزائر تابعة للدولة الموحدية.

- **الدولة الإدريسيّة:** تعد أول دولة إسلاميّة تنشأ في المغرب الأقصى، وكان ذلك في عام 788م، ومؤسسها هو الشريف مولاي إدريس بن عبد الله.
- **دولة المرابطين:** تأسست هذه الدولة في عام 1069م بقيادة عبد الله بن ياسين الّذي وحّد قبيلة صنهاجة الأمازيغيّة، بموريتانيا.
- **دولة الموحدين:** أسسها الثائر السياسي والمصلح الديني المهدي بن تومرت، وقد استطاع الموحدون بحلول عام 1147م السيطرة على المغرب الأقصى، وذلك بقيادة عبد المؤمن بن علي، وبعدها تمكنوا من دخول بجاية والسيطرة على الجزائر ابتداء من 1161م.
- **الدولة المرينيّة:** استطاع المرينيون حُكم المغرب الأقصى مدة وصلت إلى القرنين، وفي نهاية حكمهم قُسِّمت المغرب إلى مملكتين؛ مملكة مراكش، ومملكة فاس.

ثانيا. الحضارة الإسلامية بالأندلس:

كانت الأندلس مثل كامل إيبيريا (إسبانيا) قبيل الفتح الإسلامي غارقة في الفساد السياسي والتفكك الاجتماعي والتدهور الاقتصادي، غير أن فتحها لم يكن بالأمر الهيّن حيث أظهرت مقاومة عسكريّةً ضد محاولات المسلمين، وفي سنة 92هـ/711م استطاع المسلمون دخول الأندلس تحت قيادة طارق بن زياد، استمر حكمهم فيها حتّى عام 897هـ/1492م، شهدت خلال هذه المدة تغيرا في نمط الحكم الذي تدرج عبر مراحل نذكرها فيما يلي:

1- فترة عهد الولاة:

بعدما استطاع المسلمون فتح الأندلس كان لابد من تعيين ولاة لإدارة شؤونها والمحافظة على الاستقرار فيها، فبرز في هذه الفترة اسم عبد الرّحمن الغافقي الّذي تولّى قيادة الجزء الشّرقي من الأندلس، قبل أن يُصبح أميراً على كافة الأندلس بعد مقتل أمير الجيوش السّمح بن مالك.

2- فترة الإمارة الأمويّة:

تأسست الإمارة الأمويّة في الأندلس على يد عبد الرّحمن الداخل الملقب بصقر قريش، عرفت الأندلس خلال فترة حكمه أزهى عصورها، ظلت تابعة إلى الحكم المركزي للدولة الأموية إلى غاية فترة خلافة هشام بن عبد الملك حيث بدأت أمور الخلافة تتدهور، تقابلها اشتداد الثورات البربرية في شمال إفريقيا.

3- فترة الخلافة الأمويّة:

بدأت الخلافة الأمويّة في الأندلس على يد عبد الرّحمن محمد النّاصر الّذي لَقّب نفسه بأمير المؤمنين، وقد استطاع بناء مدينة بالقرب من قرطبة سماها مدينة الزّهراء، وتُعتبر فترة حكمه فترةً مزدهرةً اقتصاديّاً، وثقافيّاً، وكذلك علميّاً.

4- **فترة الدّولة العامريّة:**

شهدت هذه المرحلة سيطرة الوزراء على الحُكم وقد برزت أسماء عديدة في هذه الفترة كهشام بن الحكم الّذي تولّى الخلافة ولم يتجاوز عمره العشر سنوات، وكذلك المنصور محمد بن أبي العامر.

5- **فترة دولة المرابطين:**

بعد تزايد التهديدات الصليبية للأندلس اضطر أهلهاّ للاستنجاد بيوسف بن تاشفين وكانت الأندلس حينها على وشك الانهيار، وقد كان عبور يوسف بن تاشفين نحو الأندلس أكثر من مرّة تلبيةً منه لاستغاثتهم، وبدأ بعدها بالاستعداد لضم الأندلس إلى المغرب تحت حكم دولة المرابطين، لكنه لم ينشئ بها قاعدة تابعة لبلاد المغرب.

6- **فترة دولة الموحدين:**

بعد حالة عدم الاستقرار التي تسبب بها الفرنج بالأندلس، توجّه أهلها إلى دولة الموحّدين في شمال أفريقيا طالبين منهم النّجدة، استطاع الموحدون حماية الأندلس من الاعتداءات الفرنجية ووضعوها تحت سيطرتهم، ومن أهم سلاطين الموحّدين خلال هذه المرحلة عبد المؤمن بن علي، وأبو يعقوب يوسف المنصور.

7- **عهد ملوك الطّوائف:**

شهدت الأندلس أكثر فترات الضعف بعد سقوط الأمويين فيها، حيث قُسّمت إلى عدّة مناطق لكل منطقة أميرها المستقل، عرفت هذه الفترة بمرحلة ملوك الطوائف، واستمرّت فترات الضّعف في الأندلس حتّى سقطت في يد الصّليبيين إمارة تلوَ الأخرى، وبسقوط غرناطة سنة 1492م انتهى

تاريخ المسلمين في الأندلس ولم يبق لهم فيها سوى آثارهم المعماريّة الّتي ظلت شاهدةً على عُمق وازدهار الحضارة الإسلاميّة بها.

خريطة توضح الرقعة الجغرافية للعالم الإسلامي

المحاضرة 5: نظام الحكم في الحضارة الإسلامية

1- ديمقراطية الإسلام:

يقوم نظام الحكم في الإسلام على مبدأ ديمقراطي يتمثل في الشورى، حيث يقول الله عز وجل في كتابه الكريم: **«وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ»** (آل عمران: 159)، كما يروي أبا هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قائلا: "لم يكن أحد أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله

صلى الله عليه وسلم"، فبالرغم من أن النبي كان رسولا مبلغا عن ربه إلا أنه كان يستشير أصحابه في كل الأمور التي لم ينزل فيها حكم من الله عزَّ وجلّ، وعلى مبدأ الشورى سار أصحابه وتابعيه، ويكمن الهدف من المشورة تحقيق العدل والمساواة والاهتداء إلى أرشد الأمور.

2- الخلافة:

كانت الخلافة في عهد الخلفاء الراشدين بمثابة حكومة ديمقراطية، حيث كان اختيار الخليفة يتم عن طريق الشورى واحترام رأي الأمة وإلغاء الفوارق بين أفرادها، وبذلك فنظام الخلافة كان نظاما جمهوريا، وكان الخليفة يعتبر نفسه واحدا من المسلمين يستطيع أي فرد التحدث معه، وكانت حياته في غاية البساطة، كما أنه لا يفصل في أي أمر حتى يستشير كبار الصحابة.

تحولت الخلافة خلال عصر الدولة الأموية إلى نظام وراثي، وأصبح اختيار الخليفة يبتعد شيئا فشيئا عن الشورى إلى أن تحول إلى نظام الملك الوراثي في بقية الدول المتعاقبة.

3- الإدارة:

نشأ هذا النظام بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فكانت أولى ملامحه حينما أبرم النبي معاهدة مع اليهود القاطنين بالمدينة تقتضي شروطًا من شأنها تنظيم شؤون الجميع، كما جعل من المسجد الذي بناه بالمدينة مكانا للتشاور، ومركزا لنشر الدعوة الإسلامية، ومقرًّا لاستقبال الوفود، وكان الدستور المعمول به هو القرآن الكريم.

بعدما توسعت رقعة العالم الإسلامي خصصت للإدارات الإسلامية مقرات خاصة منفصلة عن المساجد، وأصبحت بمثابة أداة حكومية منظمة تنظيما راقيا ودقيقا، كما أضيفت لها مبادئ وأسس جديدة بما يتناسب مع الأحداث المستجدة عبر الزمن وما يتوافق مع تعاليم الإسلام.

4- الوزارة:

تعد أعلى وظيفة في الحكم بعد منصب الخليفة، تكمن أهمية الوزراء في مساعدة الحاكم في تسيير شؤون الدولة، وقد ظهرت الحاجة إلى هذا المنصب منذ القديم ويمكن الاستدلال على ذلك من خلال قوله عز وجل عن نبيه موسى عليه الصلاة والسلام: «**وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي۞ هَارُونَ أَخِي۞ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي۞ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي**» (طه: 29-31)، وتكمن أهمية الوزارة في المعاونة والمؤازرة، وقد كانت موجودة منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان يستعين بأصحابه.

5- الحجابة:

الحاجب هو من يتولى الإذن للناس في الدخول على الحاكم، وهي وظيفة لم تكن موجودة في زمن النبي ﷺ ولا في عهد الخلفاء الراشدين، وإنما استحدثت في عهد الدولة الأموية، حيث اتخذ معاوية بن أبي سفيان الحاجب بعد حادثة الخوارج ومقتل عَلي رضي الله عنه، وهو ما أصبح معمولا به خوفا من الاغتيال وتجنبا لازدحام الناس على باب الخليفة، وكان يختار لهذه الوظيفة خيرة الرجال وأصدقهم.

6- القضاء:

هو الفصل بين الناس في خصوماتهم ونزاعاتهم، ولم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قاضيا سواه، وكان النبي يعهد بالقضاء في بعض الأحيان إلى أصحابه أو إلى وُلاته في الأقاليم التي تم فتحها في زمنه، وفي عهد خلافة أبي بكر الصديق أوكل مهمة القضاء إلى عمر بن الخطاب، وفي زمن عمر أصبح القضاة مستقلين بسبب اتساع رقعة البلاد الإسلامية، ثم تطور النظام القضائي لاحقا وأصبحت له مؤسساته الخاصة، ويشترط في القاضي أن يكون ذا علم من كتاب الله وأن يتحلى بالنزاهة وقوة الشخصية.

7- الشرطة:

الشرطة هم الجند الذين يعتمد عليهم الخليفة في استتباب الأمن والقبض على المذنبين وتنفيذ العقوبات، ويعد عمر بن الخطاب أول من سنّ هذه الوظيفة، وكان يطلق عليها العسّ وتكمن وظيفة العساس في حراسة المدينة والكشف عن أهل الريبة، انتظمت هذه الوظيفة في زمن عَلي رضي الله عنه وأُطلق عليها تسمية الشرطة ورئيسها يلقب ب: صاحب الشرطة، ازدادت العناية بها في زمن الدولة الأموية وأصبح رئيسها يشبه مدير الأمن في زمننا الحالي.

تتبع الشرطة القضاء في تنفيذ الأوامر وفرض العقوبات وإقامة الحدود، وفي عهد الخلافة العباسية استقلت الشرطة عن القضاء واحتفظت بوظائفها وتنوعت مراتبها.

المحاضرة 6: الاقتصاد والمجتمع

أولا. المجتمع:

1- السمات العامة للمجتمع الإسلامي:

اتسم المجتمع الإسلامي في زمن النبي ﷺ والخلفاء الراشدين بالعدل والإخاء والتسامح ومكارم الأخلاق، على الرغم من أنه كان يضم طوائف وأجناس متباينة النسب والمعتقد لذلك فإن أقل ما يمكن القول بشأنه أنه كان مجتمعا مثاليا مطمئنا، وَعَرف هذا المجتمع نظام الجزية المفروضة على غير المسلمين لأجل تأمينهم وحماية ممتلكاتهم على أن تُسْقَط عنهم متى ما أسلموا، وأوجب الإسلام إكرامهم والإحسان إليهم حيث كانوا يمارسون شعائرهم ومعتقداتهم الدينية بحرية ويزاولون مهنهم ومعاملاتهم بشكل طبيعي مع العرب المسلمين، كما لم يحرم الإسلام الزواج من نسائهم.

تغير حال المجتمع بعدما اتسعت البلاد المفتوحة، حيث نظر الأمويين إلى أهلها من غير العرب على أنهم أقل شأنا بالرغم من إسلامهم وأطلقوا عليهم تسمية الموالي، وكان لهذه التسمية وقع سيء في نفوسهم، ظهر هذا الأمر في زمن الخلافة العباسية التي قامت على أيدي الفرس حيث عظم شأن الموالي وتقلدوا المناصب العليا في الدولة وظهرت نقمتهم على العرب، وفي عهد الخليفة المنصور تزايد تدخل الأتراك في شؤن الحكم والمجتمع حتى أنهم أصبحوا يعينون ويعزلون الحكام على أهوائهم، وبذلك بدأت تتسع الفجوة في المجتمع الإسلامي.

2- مكانة المرأة:

كرم الإسلام المرأة ورفع من قدرها وقيمتها بعدما كان يُنظر إليها في معظم الحضارات السابقة على أنها مجرد متاع تباع وتشترى، أو أداة خصوبة تنحصر مهامها في الإنجاب وخدمة

الرجل والبيت، وهناك من كان ينظر إليها على أنها دنسة من رجس الشيطان، فأنصفها الإسلام ورد لها اعتبارها كعضو إنساني في المجتمع، وأعطى لها حق الأهلية والتصرف والاختيار والميراث، بل ساوى بينها وبين الرجل في كل ما فيه صلاح للنفوس حيث يقول الله جلَّ وعلا: **«وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا»** (النساء: 124)، وبيَّن أنها والرجل من أصل واحد لقوله تعالى: **«يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الذَّي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا»** (النساء: 1)، أكرم الإسلام المرأة في كل أطوار حياتها أمًّا وابنةً وزوجةً وذلك لأنها أساس المجتمع فإذا صلحت صلح المجتمع كله، وإذا فسدت فسد المجتمع كله.

3- الأسرة:

اهتم الإسلام بالأسرة اهتمامًا كبيرًا لأنها نواة المجتمع وقاعدته الأساسية، وأحاطها بالعناية البالغة حيث وضع لها أسسا وقواعد لتنظيمها فحدَّد لكل فرد من أفرادها حقوقه وواجباته، وشرَّعَ الزواج حفاظًا على الأنساب، كما أباح الطلاق عند الضرورة حفاظًا على الحقوق والأنفس، وفَرض على الأبناء طاعة الوالدين وقرن الإحسان إليهما بعبادة الله عز وَجلّ، وبذلك نمت التقاليد والأعراف الحميدة في المجتمع الإسلامي.

4- الرق:

كان نظام الرق والعبودية منتشرا في كافة الأمم السابقة ولا يكاد يخلو مجتمع منه، وكان من الصعب التخلص منه دفعة واحدة لأن الناس كانوا متمسكين به قرونا وأحقابا، لذلك جاء الإسلام بخطط وأحكام تهدف إلى القضاء على نظام الرق بالتدريج، حيث بدأ بالحث على الرأفة والإحسان

لهذه الشريحة، ثم انتقل إلى الترغيب في تحرير الرقاب وجعلها كفارة للذنوب، وبذلك فقد كرم الإسلام الإنسان ورفع مستواه، واهتم بحريته وسلك في سبيل ذلك أحكم الطرق وأبلغها.

ثانيا. الاقتصاد:

1- الزراعة:

بعد اتساع رقعة العالم الإسلامي أصبح يضم العديد من الأقاليم الخصبة على غرار: بلاد الرافدين والشام وبلاد الفرس وبلدان شمال إفريقية وكان معظم هذه البلدان يعاني من تدهور الجانب الاقتصادي بسبب ويلات الحروب وآثارها، فعمل المسلمون على تحسين المنظومة الاقتصادية فركزوا على تحسين قطاع الزراعة من خلال استصلاح وسائل الري وتنظيمها، وبناء السدود وشق القنوات والترع وإنشاء الجسور، كما عرفوا تسميد الأراضي وعملية تلقيح النبات، وزراعة الزهور لاستخراج العطور منها خاصة في الفترة العباسية، ويعود الفضل للمسلمين في إدخال نباتات إلى أوروبا لم تكن معروفة قبلا مثل: الزيتون والمشمش وقصب السكر وغيرها.

تنوعت المحاصيل الزراعية في كافة البلاد الإسلامية بفعل تنوع الترب والمناخ ونميز من بينها: الكروم والتمور والحنطة والقطن والكتان والسمسم والتوابل والبقول والخضر بمختلف أنواعها.

2- الصناعة:

امتلكت البلاد الإسلامية العديد من الخامات المتنوعة بفعل اتساع المساحة وتنوع الأقاليم، الأمر الذي فتح الأبواب لصناعات متنوعة، فبرع المسلمون في هذا المجال وعرفوا العديد من الصناعات على غرار:

- الصناعات المعدنية: تشمل الحديد والنحاس والذهب والفضة، حيث تنوعت منتجاتها ما بين: الأسلحة والحلي والركائز وغيرها.
- الصناعات النسيجية والألبسة: تشمل القطن والصوف والكتان والحرير وتنوعت منتجاتها ما بين: الألبسة والأغطية والأفرشة.
- الصناعات التحويلية: تشمل الزيوت والعطور والبخور والعصائر بأنواعها، والصناعات الخشبية والفخارية.
- الصناعات الغذائية: تشمل الأسمدة والأجبان والسكر ومختلف المنتجات الغذائية الأخرى.
- الأدوية والعقاقير والمراهم الطبية والتجميلية، والصابون.

3- **التجارة:**

خالط العرب قبل الإسلام التجارة فكان لهم معرفة وخبرة بمختلف تفاصيلها، كما كان لها مكانة هامة ومميزة لديهم، وبعدما انتشر الإسلام واتسعت رقعة البلاد المسلمة وخاصة بعدما انتعشت الزراعة والصناعة، ازدهرت التجارة واتسع نطاق ممارستها وأصبح للمسلمين صلات تجارية كبرى مع مختلف أصقاع العالم، حيث امتدت نحو الشرق إلى غاية الصين ونحو الغرب إلى غاية بلاد الفرنج، كما امتدت شمالا إلى غاية بلاد الروس وجنوبا إلى غاية بلاد الحبشة ونيجيريا وسواحل إفريقيا، وتطورت المدن الإسلامية من حيث التبادل البري والبحري وتحول بعضها إلى مراكز كبرى مثل: بغداد والبصرة، الإسكندرية، القاهرة، أصفهان، طرابلس، صيدا وبيروت.

أدى نشاط التجارة لدى المسلمين إلى ابتكار نظام مالي تسير عليه أمور الدولة تجسد في هيئة بيت المال، يشبه وزارة المالية في وقتنا الحاضر والقائم عليه يشبه وزير المالية، ساهمت التجارة في انعاشه، كما يستمد تمويله إلى جانب عائدات التجارة من: الغنائم والصدقات وأموال الزكاة والجزية، وبذلك ساهم بيت المال في ازدهار اقتصاد الدولة الإسلامية وتحسين شؤون المجتمع.

المحاضرة 7: الاسهامات العلمية والفنية

أولا. الجانب الفكري:

1- الطب:

عرف العرب الطب منذ القديم ومع قدوم الإسلام تطور هذا المجال وتوسعت أبعاده، وبرع العديد من المسلمين في هذه المهنة بل طوروها بعدما أخذوا العديد من المعارف من الكتب السابقة اليونانية والمصرية التي قاموا بتصحيحها، كما أضافوا عليها أبوابا جديدة لم تكن معروفة سابقا والتي لازالت تستخدم في وقتنا الحاضر، حيث عرفوا طب الأطفال، والطب الباطني، وطب العيون، والطب الوقائي وعلوم الأوبئة وعلوم الجراحة والتشريح، وكانوا أول من استعمل التخدير باستخدام نبات **الشيلم** الذي يفقد المريض الوعي والإحساس.

يعود الفضل للمسلمين في ابتكار العديد من المواد الطبية والصيدلانية مثل: الكحول والكافور وبعض الزيوت والمراهم وغيرها، كما أنهم توصلوا إلى إنشاء مخازن للأدوية، إضافة إلى أنهم أول من قام بإنشاء مؤسسات لتعليم الصيدلة، ولم يكن الطب حكرا على الرجال فقط وإنما مارسته

النساء كذلك، كما برزت العديد من الأسماء اللامعة للأطباء المسلمين ويعد ابن سينا أكثرهم شهرة وأبعدهم أثرا.

2- الفلك:

اهتم المسلمون بعلم الفلك نظرا للأهمية البالغة التي يولونها للوقت، فعملوا على دراسة الفلك عند اليونان والفرس والهنود والكلدان وغيرهم ممن برع في هذا المجال، فقاموا بنقل هذه المعارف إلى الكتب العربية بل قاموا بتطويرها وتصحيح ما ورد فيها من أخطاء، ويعود الفضل للعرب المسلمين في العديد من الإضافات في علم الفلك حيث قاموا بإدخال خطوط التماس في الحساب الفلكي منذ القرن العاشر الميلادي، كما ابتكروا آلة الرصد أو التلسكوب، وأقاموا العديد من المراصد في كل بقاع البلاد الإسلامية ويعد مرصد بغداد أشهرها الذي دام ازدهاره لمدة سبعة قرون من 850-1450م، كما تمكنوا من تحديد اتجاه القبلة بدقة في كل البلاد الإسلامية.

تمكن العرب المسلمون من إدخال آلة الإسطرلاب وتطويرها، بعدما قاموا بنقل الأسس العلمية لهذه الآلة عن عالم الفلك الإغريقي بطليموس؛ وهي آلة دقيقة تستخدم لرصد حركة النجوم في السماء، كما تستخدم في الملاحة وحساب المساحة، واستخراج مياه الآبار، وفي تحديد الوقت بدقة ليلا ونهارا، وقد اهتم بها المسلمون اهتماما كبيرا واستخدموها في تحديد مواقيت الصلاة وحساب مواعيد فصول السنة، كما برع المسلمون في تطوير استخدامات الإسطرلاب وأضافوا إضافات كبيرة على شكله ووظيفته، شملت هذه الإضافات قياس محيط الكرة الأرضية، وجمع الخرائط الفلكية التي تصور حركة الكواكب وأشكال مداراتها، وبذلك قدم المسلمون للعالم العديد من الإضافات لعلم الفلك التي لازالت معتمدة إلى يومنا هذا.

3- الكيمياء:

يعود الفضل إلى العرب المسلمين في التأسيس لعلم الكيمياء الحديثة من خلال إضافة عنصر الملاحظة الدقيقة والتجربة العلمية قبل التطرق إلى النتائج، كما تعود أسبقية اختراع العديد من المركبات الكيميائية للمسلمين مثل: الكحول، حمض الكبريت، ماء الفضة، ماء الذهب، البوتاس، روح الملح، روح النشادر، الزرنيخ وغيرها، ومن أشهر رواد هذا المجال جابر بن حيان والرازي

4- الفيزياء والرياضيات:

تمكن العرب من فصل علم الفيزياء كعلم مستقل عن بقية العلوم، كما تمكنوا من تطويره من خلال إضافة معلومات جديدة نهضت بهذا المجال خصوصا فيما يخص البصريات وحساب الكثافة النوعية، حيث وضعوا العديد من القواعد وأثبتوا العديد من العلاقات مثل علاقة وزن الهواء بكثافته، كما ابتكروا العدسات وتمكنوا من حساب سرعة الضوء، ومن أشهر علماء الفيزياء نذكر: البيروني، ابن الهيثم، الخازن المصري.

بلغ العرب المسلمين درجة النبوغ في دراسة وتطوير علم الرياضيات، وأضافوا إليه العديد من الطرق الحسابية والأعداد، ويعد ابتكار الصفر من أعظم النظريات العلمية التي توصل إليها المسلمون، كما اشتهروا بتطوير علم الجبر والهندسة، ويعد الخوارزمي أحد أشهر الرياضيين العرب.

5- التاريخ:

اهتم المسلمون بعلم التاريخ اهتماما بالغا، انطلاقا من حرصهم الكبير على التدوين لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأحاديثه الشريفة، فكتبوا العديد من المؤلفات التي تخص الفتوحات

والغزوات وأخبار المدن والملوك والعديد من التراجم والسير لأبرز الشخصيات، وغيرها من المؤلفات التاريخية في شتى المجالات، ومن أشهر المؤلفين نذكر: الطبري، ابن الأثير، ابن خلدون، المقريزي.

6- الجغرافيا:

ساهم العرب المسلمون في تطوير علم الجغرافيا من خلال كثرة التأليف فيها، وتصويب الأخطاء الواردة فيما نقلوه عن سابقيهم ممن برع في هذا المجال، كما أضافوا عليها معلومات جديدة حيث عرفوا رسم الخرائط وعينوا عليها مواقع الأماكن بدقة بفضل إدخالهم علم الفلك في رسمها، وقد انتشرت الخرائط التي انجزها المسلمون في أوروبا، كما ألف العرب العديد من الكتب حول مواقع الأماكن التي تمكنوا من تحديدها ووصفها بدقة عالية بفضل الرحلات العديدة والحركات التجارية، وأبرز من ألف في علم الجغرافيا نذكر: الشريف الإدريسي، ياقوت الحموي.

7- الفلسفة وعلوم التربية:

تقوم الفلسفة الإسلامية على أساس الربط بين العلم والدين، فهي تعالج القضايا من منظور المنطق والبحث العقلي، ومن هنا تنطلق مبادئ علم النفس التي تبنى عليها طرق التربية والتعليم، حيث يعد الغرض الأساسي من التربية الإسلامية هو كمال النفس وتهذيبها لقوله ﷺ:

«أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي».

ثانيا. الجانب الفني:

تتميز الحضارة الإسلامية بكونها جامعة لشتى مظاهر التفوق البشري، يمكن اعتبارها بمثابة حضارة منفتحة على بقية الحضارات التي نقلت عنها كل ما هو إيجابي، وأضافت عليها

التعديل والتنقيح كما قامت بتطوير كل هو منقول، واحتل الفن مكانةً كبيرةً لدى المسلمين كما امتاز بالتنوع والرقي واتسم بالطابع الإسلامي، ومن بين الفنون التي شهدتها الحضارة الإسلامية نذكر:

1- النحت والزخرفة:

مارس المسلمون فن النحت والنقش والزخرفة على المعادن والأخشاب وعلى الجدران وغيرها، واهتموا بهذا المجال اهتماما بالغا نتيجة لحبهم للتزيين والمظاهر الجمالية، فنقلوا عن الحضارات اليونانية والفارسية وحتى الفرعونية الكثير من التفاصيل غير أنهم تجنبوا صنع التماثيل والصور المجسمة التي تجسد هيئات بشرية وحيوانية، وعوضوها بالأشكال الهندسية والنباتية ذات المناظر البديعة، كما اعتمدوا على أنواع الخطوط العربية للتزيين وخاصة الخط الكوفي الذي يمتاز بالمرونة والانسجام، وبذلك فهو قابل للزينة كما أنه انتقل إلى أوروبا بعدما نقله رجال الفن المسيحيين من الذين أعجبوا بالخطوط العربية لتزيين الكنائس والقصور، وقد زاد من انتشار فن النحت والزخرفة العربية اعتماد أوروبا على البضائع المزخرفة المستوردة من البلاد العربية إبان ازدهار الحضارة الإسلامية.

2- العمارة:

اتصفت العمارة العربية الإسلامية في بداياتها الأولى بالبساطة والتشابه، وبعدما توسعت البلاد الإسلامية على ربوع شاسعة تطورت العمارة وأُدخلت على تفاصيلها أنماط عديدة، كما تنوعت العمارة من ناحية البناء بتنوع الأقاليم ما بين عمارة المناطق الجافة والحارة التي غالبا ما تميل إلى النوافذ الصغيرة المرتفعة، وعمارة المناطق الرطبة التي تميل غالبا إلى الارتفاع وتعدد الطوابق.

تميزت العمارة الإسلامية عن غيرها من العمائر بتزيين خاص بها أطلق عليه الطابع الإسلامي وهو نوع من التزيين الذي تختلف زخرفته من مرحلة إلى مرحلة فنميز: النمط الأموي، النمط العباسي، المغربي، الأندلسي، وغيرها، وقد انفردت بنمط الأقواس التي تزين الأبواب والمداخل والأروقة التي اتخذت شكل حذوة الفرس، ويمكن ملاحظة نمط العمارة الإسلامية في كل من: المساجد، المدارس، المكتبات، القصور، القلاع، المعاهد، المتاحف، البوابات، الدواوين.

لم يقتصر الفن عند المسلمين على النحت والعمارة فحسب وإنما شمل مجالات أخرى مثل: فن الشعر والخطابة، الرسم، الموسيقى، وأقيمت لتعليمه العديد من المدارس والمعاهد التي كانت مقصدا من مختلف بقاع العالم وخاصة من أوروبا، ولايزال الطابع الإسلامي يزين العديد من الكنائس والمعاهد الأوروبية إلى اليوم.

ثالثا. أثر الحضارة الإسلامية على أوروبا:

حقَّق العرب المسلمون النبوغ والتفوق في شتى الميادين العلمية والفنية، وطبعوا عليها بصمتهم حيث قدموا للعلم والحضارة البشرية العديد من الإضافات والابتكارات التي لم يسبقهم إليها أحد، عرفت هذه الفترة بالعصر الذهبي للحضارة الإسلامية وفي هذه الفترة بالتحديد كانت أوروبا غارقة في ظلام العصور الوسطى من الجهل والتخلف والتدهور الفكري والاقتصادي، فكان للحضارة الإسلامية أثر بالغ على أوربا حيث يعود الفضل للمسلمين في نقل شتى العلوم والمعارف والفنون ومختلف الصناعات إليها عن طريق رحلات التجارة والحج والسياحة، إضافة إلى تأسيس العديد من المدارس ومراكز نشر العلم والمكتبات في العديد من المناطق على غرار الأندلس وصقلية وغيرها، ومنها انتقلت المعارف نحو جميع أنحاء أوروبا، وفي هذا الصدد يقول الباحث

نيكلسون: "...وأما المكتشفات اليوم لا تحسب شيئا مذكورا إزاء ما نحن مدينون به للرواد العرب الذين كانوا مشعلا وضاءً في القرون الوسطى المظلمة ولاسيما في أوروبا...".

كانت المدارس العربية مقصدا لطلاب العلم من أوروبا الذين اجتهدوا في دراسة اللغة العربية وقاموا بترجمة الكتب إلى لغاتهم الأم، ومن بينهم نذكر: روبيرتوس أنجليكوس وهو أول من قام بترجمة القرآن الكريم، ومن بين الكتب العربية التي تم النقل عنها في أوروبا نذكر كتاب "الحاوي" في علوم الطب للرازي، الذي يتألف من عشرين مجلدًا والذي كان المرجع الوحيد المعترف في الغرب إلى غاية القرن السابع عشر، وكان ما ألفه جابر بن حيان في علم الكيمياء بمثابة المرجع الأول في أوروبا إلى غاية القرن الثامن عشر، وفي الجيولوجيا (علم طبقات الأرض) انتقل إليهم ما ألفه ابن سينا، وفي علم الاجتماع انتقلت إليهم معارف ابن خلدون، كما نقلوا عن العرب علوم الحساب والجبر والهندسة والفلك والرياضيات وكتب التاريخ والجغرافيا وحتى الأدب والشعر الذي تفرع عنه الأدب والشعر الغربي.

نقل الغربيون إلى جانب العلوم أساليب التجارة عن العرب المسلمين فأنشأوا النقابات والمراسلات ووثائق الشحن وخطابات الاعتماد، كما تأثروا بالصناعة والفن العربي فنقلوا عنهم الآلات الموسيقية، وصياغة الذهب والفضة، ونماذج النحت والنقش والزخرفة ونمط الفن العمراني ذي الطابع الإسلامي.

يمكن القول أخيرا أن الحضارة الإسلامية لها فضل كبير في الحفاظ على معارف الحضارات السابقة ونقلها إلى حضارات العالم الحديث، كما صححت ما ورد بها من أخطاء ومغالطات وأضافت عليها ما توصلت إليه من معارف وابتكارات، حيث وضعت الحضارة الإسلامية أسس

العلوم الحديثة وشتى المعارف وبفضل ما قدمه المسلمون العرب تمكن الفكر البشري من الوصول إلى ما بلغه اليوم من التطور والازدهار.

تمنياتنا لكم بالتوفيق

أساتذة المقياس:

الصيد رانية + بن حدحوم أحمد